

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تداعيات عصر السيولة على العملية الإبداعية بالأدب

The repercussions of the era of liquidity on the creative process in literature

حنان بوطورة Hanane Boutora¹، سميرة منصوري Samira Mansouri²

¹ طالبة دكتوراه، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية،
مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية

PhD student, 20 August 1955 Skikda University, Faculty of Humanities and Social
Sciences, Department of Social Sciences, Research and Social Studies Laboratory
h.boutora@univ-skikda.dz

² أستاذ محاضر، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم
الاجتماعية، مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية.

Assistant professor A, 20 August 1955 Skikda University, Faculty of Humanities and
Social Sciences, Department of Social Sciences, Research and Social Studies
Laboratory.
s.mansouri@univ-skikda.dz

الإيميل: h.boutora@univ-skikda.dz

المؤلف المرسل: حنان بوطورة Hanane Boutora

تاريخ القبول : 2022-03-27

تاريخ الاستلام: 2021-11-06

المخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على تداعيات عصر السيولة على الأدب من حيث المفهوم والخصائص وكذا العلاقة بين عناصر العملية الإبداعية وطبيعة السلطة في إنتاج النص الأدبي وفق مقاربة السيولة لزيجمونت باومان، وللإجابة على تساؤلات الدراسة وبلوغ أهدافها اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى جملة من الاستنتاجات من أبرزها: أن تداعيات عصر السيولة أوجدت نوعاً من الأدب السائل الاستهلاكي الذي يتسم بمجموعة من الخصائص منها: السيولة، الاستهلاكية، الوقتية، التغير المستمر، وانتفاء الخصوصية، اللابينية، وأعدت تشكيل العلاقة بين عناصر العملية الإبداعية فيه بما يعيد ترتيب منطوق السلطة في إنتاجية النص الأدبي بانزياحها لتخرج من يد المبدع والمتلقي لتستقر في يد الآلة الاستهلاكية التي تسيطر على توجيه إنتاج النص الأدبي بما يخدم تراكم رأس المال ويخرج الأدب من أي غاية حقيقية في خدمة الحياة الاجتماعية خارج الغاية الاستهلاكية.

الكلمات المفتاحية: عصر السيولة، الثقافة الاستهلاكية، الأدب السائل. العملية الإبداعية.

Abstract:

This study aimed to identify the implications of the fluidity era on literature in terms of concept and characteristics, as well as the relationship between the elements of the creative process and the nature of authority in the production of the literary text according to the fluidity approach of Zygmunt Baumann. Among the conclusions, most notably: that the repercussions of the era of liquidity created a kind of consumer fluid literature, which is characterized by a set of characteristics, including: Liquidity, consumerism, temporality, continuous change, lack of privacy, uncertainty, and re-formed the relationship between the elements of the creative process in it, in a way that rearranges the areas of power in the productivity of the literary text by shifting it out of the hand of the creator and the recipient to settle in the hand of the consumer machine that controls the direction of the production of the literary text, including The accumulation of capital serves and literature is excluded from any real purpose in the service of social life outside the purpose of consumption.

Keywords: The era of liquidity, consumer culture, liquid literature. Creative process.

مقدمة:

أسست المفاهيم الصلبة للحدث كفكر تنظيري لتحولات عميقة بالبنية الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة جاءت بطبيعة سائلة أسماها العديد من الباحثين ما بعد الحدث، وعبروا عن أنها حركة نقض وهدم لما جاءت به الحدث¹، وتحول فكري، أحضر معه مفاهيم جذدت جميع أوجه الحياة²، حيث يقول آلان تورين في وصفها: "...القرن العشرون قرن غروب الحدثية، حتى لو كان قرن فتوحات التقنية و الحياة العقلية"³، إلا أن باومان جاء ليقول أن مصطلح ما بعد الحدث لا يعبر بالكلية ولا يصف حالة المجتمع اليوم وما نحن فيه هو حالة جديدة للحدث الصلبة وليس مرحلة أخرى خارج الحدث لأن السمة التي قامت عليها الحدث الصلبة من صهر المواد الصلبة بدا بالثورة الصناعية هي ذاتها ما نعيشه اليوم ولكن الفرق في أن الحدث تجاوزت صهر الحديد إلى صهر البنى الاجتماعية والفكرية لتتلاءم مع الآلة الاستهلاكية وتتوافق مع شكل المجتمعات الجديدة التي تريد لها أن تصنع. ويعبر عن هذا التحول التدفق الهائل للمعارف والمعلومات، ودخول العالم عصر المعرفة الرقمية⁴، والانزياح عن الأطر الفكرية القديمة التي تمخضت عن الثورة الصناعية، وبزغ نجم جديد أضواء هذا التحول وأصبح السمة الرئيسية له الاتصال وتطور وسائل الاتصال السريعة والمرئية الدائمة والمستمرة في التطور، مما فرض على الإنسانية أن تكون على اطلاع مستمر على ما يستجد ليس كل يوم أو ساعة، بل كل ثانية أو جزء من الثانية بالمستجدات المعرفية والمعلوماتية⁵ وفي هذا العصر ظهرت فكرة التنوير المعلوماتي، الذي يتيح استخدام فضاء المعلومات-تكنولوجيا الاتصال-في ضبط المعلومات وتسهيل الاستفادة منها، وذلك ما جعل الإنسان المعاصر ينتقل من الكم إلى النوع، بمساعدته على تحديد حاجته من المعلومات، وكيفية تنظيمها وتفعيلها⁶، وهو ما جاء مرافقا للفلسفة الاقتصادية النفعية للحدث والتي شجعت عن مفاهيم كالعقلانية والحرية الاقتصادية، والتي أنتجت ثقافة استهلاكية، ساهم النص المتفرع في ترسيخها من خلال الفضاء المعرفي المفتوح الذي أتاحه عن طريق توفير المعلومات وتسهيل الحصول عليها بتنظيمها مازال هناك بعض اللبس بسبب تداعيات العصر الرقمي، وأعطى حلولاً لمشاكل عديدة⁷.

وقد كان لهذه التداعيات بالعصر الرقمي أثر في ظهور نوع جديد من الأدب الذي وظف تقنيات العصر الرقمي من حاسوب وانترنت ليظهر في حلّة جديدة سمتها ظاهريا التفاعلية، المرونة والحرية، وقوامها في حقيقة الأمر السيولة والاستهلاكية والثقافة الجماهيرية التي لا غاية ترجى منها إلا التسلية، انعكست على العملية الإبداعية كافة لتعيد تشكيل مفهوم الأدب ومقوماته وكذا عناصرها وطبيعة العلاقة بينها، وعلى أصالة العملية الإبداعية والغاية الإنسانية منها وأن تحولها التقنية الرقمية إلى رقم من أرقام العصر.

حيث شهدت العملية الإبداعية باعتبارها المعبر على تحولات مجتمعها تغييراً ملحوظاً، أين صارت مندمجة بالثقافة الاستهلاكية التي سيطرت على تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر السيولة بتعبير زيجمونت باومان فلم يعد المبدع الورقي ذاته المبدع الرقمي، كذلك القارئ الورقي غير القارئ الرقمي وهذا، كما سيطرت الثقافة الاستهلاكية على كافة أبعادها لتخرجها من غايتها الحقيقية في المجتمعات لغاية أخرى سائلة قوامها الاستهلاك وتراكم رأس المال دون غاية أو هدف خارج ذلك.

وتأسيساً على ما سبق تتحدد إشكالية هذه الدراسة في التساؤل التالي:

ماهي تداعيات عصر السيولة على أبعاد العملية

الإبداعية بالأدب؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم صياغة مجموعة من

التساؤلات الفرعية كالتالي:

- ما هو الأدب الرقمي؟

- ماهي التحولات الاجتماعية الأساسية بعصر السيولة كما بينها زيجمونت باومان؟

- ماهي انعكاسات التحولات الاجتماعية بعصر السيولة على ظهور مفهوم الأدب السائل؟

- ماهي انعكاسات عصر السيولة على عناصر العملية الإبداعية؟

- ماهي تداعيات عصر السيولة على نظام السلطة في إنتاج النص الأدبي؟

أهداف الدراسة:

انطلاقاً من تساؤلات الدراسة تتحدد أهداف هذه الدراسة

في النقاط التالية:

مساحة ما ليكون قابلاً للمعاينة، هذا النوع من الأدب يستخدم تقنية النص المترابط **Hyper text** مما أدى إلى ظهور أجناس أدبية كلاسيكية كالشعر والسرد والدراما في صورة أجناس أدبية جديدة مثل الروايات المشتركة والكتابات الجماعية والمدونات ذات الطبيعة الإبداعية¹⁰

ثانياً: خصائص الأدب الرقمي: من أبرز خصائص الأدب الرقمي ما يلي:¹¹

- يتميز بالمتعة التي تتشكل من خلال مشاركة مستعمل الحاسوب في إنتاج النص الأدبي الموجود على الانترنت

- التحرر من نمطية العلاقة بين عناصر العملية الإبداعية فالناقد يمكن أن يكون قارئاً ومبدعاً والمبدع فيه يكون قارئاً وناقداً، وكذلك يمكن للقارئ أن يكون مبدعاً وناقداً بالمساهمة الفعال في إنتاج النص الأدبي المفتوح.

- تجاوز النمطية والتقليدية في تقديم النص الأدبي حيث يعرض من خلال وسيط جديد ليظهر بذلك شكل جديد للتواصل.

- اخراج الأدب من النخبوية وفسح مجالاً للحرية في الممارسة الإبداعية لكل من يجد في نفسه الموهبة.

- إرجاع للقارئ قيمته ودوره في العملية الإبداعية والتي أهملت لفترة طويلة من النقاد.

- التخلص من البيروقراطية العربية المسيطرة على دور النشر والمؤسسات الثقافية الرائدة.

- عدم تقييد المبدع الرقمي في مساحة محددة فهو في فضاء افتراضي واسع.

- استخدام الوسائط المتعددة (الملتيميديا) في آن واحد.

- إعطاء فرصة للقراء للتجاوز مع منتج النص من أجل تفاعل بناء يساهم في إثراء النص الأدبي من خلال جلسات الحوار الجماعية التي يحررها الوسيط الإلكتروني.¹²

ثالثاً: مفهوم الحداثة السائلة:

ما يستشف من كتابات باومان هو أن مفهوم الحداثة السائلة يحاول تشخيص عصرنا ومعطياته وطبيعته بعيداً عن المستوى الفكري التنظيري الذي أسست له الحداثة الصلبة بما طرحته من أفكار كلية ليمسّ تجليات هذا الفكر التنظيري بالحياة اليومية للمجتمعات المعاصرة وما يتسم به من حركة وسواسية التغير وصفها باومان بالسائلة، تحكمها الآلة الاستهلاكية التي تصنع هوية جديدة للإنسان وللمجتمعات المعاصرة تتجاوز المحددات الصلبة من عادات

- التعرف على التحولات الاجتماعية والثقافية بالمجتمعات المعاصرة من وجهة نظر مقارنة السيولة لزيجمونت باومان.

- التعرف على انعكاسات عصر السيولة على مفهوم الأدب.

- التعرف على انعكاسات عصر السيولة على عناصر العملية الإبداعية.

- التعرف على انعكاسات عصر السيولة على نظام السلطة في إنتاج النص الأدبي.

أهمية الدراسة:

تتأتى أهمية هذه الدراسة من أهمية المتغيرات التي تعمل مقاربتها أين تعمل على مقارنة النوع الجديد من الأدب الذي نتج عن المزاجية بين الأدب والتكنولوجيا وهو ما عرف بالأدب الرقمي من خلال توجه نظري حديث في قراءة التحولات الاجتماعية والثقافية بالمجتمعات المعاصرة وهي مقارنة السيولة لزيجمونت باومان لتحديد التحولات التي طالت الأدب في ظل هذا المفهوم.

منهج الدراسة:

انطلاقاً من موضوع الدراسة والأهداف المصاغة لها يتحدد طبيعة المنهج الملائم لها والذي اعتمدناه في هذه الدراسة وهو المنهج الوصفي التحليلي.

المحور الأول: الأدب الرقمي السائل كمظهر لعصر السيولة

أولاً: مفهوم الأدب الرقمي

- يشير مصطلح الأدب الرقمي حسب تعريف فاطمة البريكي إلى: "جميع الفنون الأدبية التي نتجت عن تقاطع الأدب مع التكنولوجيا الرقمية/الحاسوب والانترنت"⁸

ويعرفه رمضان بسطاوي سي محمد من خلال ربطه بما بعد الحداثة حيث يرى أن الأدب الرقمي هو شكل جديد من الأدب الناتج عن حالة ما بعد الحداثة التي نتج فيها استخدام التكنولوجيا في تقديم أشكال فنية جديدة تعبر عن التشتت الذي لا نهاية له في الحياة، فأصبح الكمبيوتر بديلاً عن الوعي أو امتداداً له، غير أنه لم يشير إل مصطلح الأدب الرقمي بل تكلم عنه في مفارقة بين الحداثة وما بعد الحداثة، أما حسام الخطيب فيرى بأن الأدب الرقمي هو شكل جديد من الأدب الذي ساهم في ظهوره تقنية النص المتفرع الذي ساعد ليتجلى الأدب من خلال شاشة الحاسوب.⁹

ويعرف سعيد يقطين الأدب الرقمي بأنه صورة جديدة للإبداع الأدبي، تعتمد وسائط جديدة للتواصل، هذه الوسائط ذات طبيعة رقمية إلكترونية، تمنح العمل الإبداعي

وتحديدات اجتماعية وسياسية واقتصادية¹⁶، كما أنها حادثة تصور السّم القاتل للإنسانية في صورة تزيق للحياة وتخلق نوعاً من الشر السائل الذي يلتف على المفاهيم الصلبة من حرية وحقوق الإنسان ليصهرها ويزداد قوة بها من خلال اعتمادها كمبررات للشر الذي لا بديل له من أجل تحقيقها وتسميها أزمات بدلا من جرائم مثل القتل والتنكيل والتهجير وتفجير واستبعاد الآخر المختلف اللاجئ¹⁷، ولعلا هذا ما يقوض ما جاءت به الحادثة الصلبة من ربط بين الإنسانية والعقلانية وزعمها أن انتشار النزعة الإنسانية مرتبط بانتشار العقلانية¹⁸

4-لاعقلانية:

بالمجتمع الاستهلاكي يظهر الأفراد بمظهر اللاعقلانية أين يمكن أن نجد الأفراد يقفون طوابير لساعات طويلة أمام نوافذ المتاجر ليشتروا قسريا الكثير من الأشياء التي ربما لا يحتاجونها وإنما يرغبون بها لأنه تم الترويج لها على أنها تزيد من مكانتهم الاجتماعية أو تجعلهم أشخاصا أكثر سعادة ورفاه، ويخترعون لأجل البقاء في حالة الاستهلاك العديد من المبررات الواهية لشراء المزيد والمزيد من الأشياء¹⁹ وانطلاقاً من مفهوم الأدب الرقمي وخصائصه وتعريف زيجمونت باومان للسيولة والحادثة السائلة وخصائصها يمكن تحديد مفهوم الأدب السائل وخصائصه كالتالي:

خامساً: مفهوم الأدب السائل

نوع جديد من الأدب الذي نتج عن المزوجة بين الأدب والتكنولوجيا الحديثة، تتسم روابطه الخارجية والداخلية. بالسيولة، الوقتية، الخضوع لمعايير السوق الاستهلاكية بصورة لا عقلانية وتكريس الاحتمالية، توجد نوعاً من التغير المستمر في تشكّل النص الأدبي بما يفقده الغاية من وجوده خارج غايته الاقتصادية.

سادساً: خصائص الأدب السائل

1-السيولة:

أصبح الأدب السائل كغيره من البنى الثقافية بالحادثة السائلة سلعة لجلب اللذة الوقتية أين صار كل من المبدع والمتلقي لا يبحثون عن الذائقة الإبداعية الرفيعة بقدر ما يبحثون عن التواجد من خلال ملاحقة الموضة الاستهلاكية من خلال أقصر الطرق السريعة والوقتية من التواصل بالعملية شبة إبداعية للحصول على لذة وقتية بعيداً عن الالتزامات الصلبة التي يفرضها الأدب الورقي في كافة مراحل

أو تقاليد وأعراف وتاريخ وتصنع هوية هجينة جديدة تجمع الكل في إطار الكائن السائل الذي يعرف نفسه ويحدد قيمته بناء على ما يستهلكه ووفق معايير خارجة عن كل ثابت ومستقر من تراث، تاريخ أو عادات وتقاليد وقوانين صلبة¹³

رابعاً: خصائص الحادثة السائلة:

1-وقتية:

تقوم على ثقافة الاستهلاك والتغير السريع، وعلى نمط من التوقعات قصيرة المدى يسعى لتحقيق الرغبات بصورة آنية ولا ترحب بالاستثمار طويل المدى مما يخلق ثقافة متسارعة ترتبط بالتغير المستمر والقهري وتشكل مجتمعا استهلاكيا في عمق بنائه الاجتماعي¹⁴.

2-استهلاكية:

إن الاستهلاك ليس ظاهرة جديدة اجتماعيا وإنما الجديد هو تغلغله ليصير غاية في ذاته ويصبح يشكل البناء الاجتماعي لكافة المجتمعات؛ بل وأوجد هوية اجتماعية هجينة تجمع كافة المجتمعات بالعالم بعيداً عن أي ثوابت خاصة، أي أن مجتمعات الحادثة السائلة تقوم على مركزية الاستهلاك في بنية المجتمع الذي يعيد هيكله وتنظيم الحياة الاجتماعية للأفراد، بشكل أوجد نمطا جديدا من العلاقات والتفاعل والتواصل الاستهلاكي بين الأفراد ليحولهم هم ذاتهم إلى بضائع قابلة للاستهلاك، حيث لا ينجذب الأفراد بالمجتمع الاستهلاكي للسوق فقط لشراء أشياء مادية أو بيعها ولكن يمكن أن يكون لشراء أشياء مادية تزيد من قيمتهم ومكانتهم الاجتماعية وبالتالي يحولون أنفسهم إلى بضائع تستهلك وبيعون صورة منمقة عن أنفسهم تتناسب مع ما تروج له الآلة الاستهلاكية ويحصلون بالمقابل على التقدير والمكانة الاجتماعية والحب¹⁵.

3-لا إنسانية:

قام مفهوم الإنسانية بالحادثة الصلبة على مفهوم التحرر الذي يتأسس على جعل الناس قادرين على التفكير والتصرف في حياتهم بعيداً عن أي قوى خارج العقل وبعيداً عن كل متطلبات التحديدات التي تأتي من خارج رغباتهم الفردية، أي أن تكون مرجعية الفرد للتحرر هي نفسه وأن يكون خارج السلطات السياسية والأخلاقية والاقتصادية ويكون قادراً على إنتاج القواعد التي يتبعها هو نفسه فقط، وهذا النموذج من التحرر فشلت الحادثة في تحقيقه لأن التحرر كان له باستمرار مكون اجتماعي على اعتبار أنه ينطوي على مطالب

الإبداع بالأدب السائل استهلاكي يوجد لدى عناصر العملية الإبداعية (المبدع، المتلقي، الناقد) شعورا زائفا بالحرية لأنها تخبرهم أن كل ما يرغبون به متاح لهم، وهو ما يقوم عليه الاستهلاك من رابطة بين الرغبة والفعل، تجعل شعورا بالتححر يتولد لديهم كلما شعروا أنهم قادرين على التصرف بالوسائل المرغوبة من خلال تحقيق التوازن بين ما يتخلونه وما يرغبون به وقدرتهم على التصرف بالنص الأدبي الرقي ليكون متاحا، ويتبع ذلك منطق الحداثة السائلة التي توجد الشعور بالحرية بأن تقتصر رغبات الأفراد على الاستجابة للمحفزات التي تطرحها الآلة الاستهلاكية والمجتمع الاستهلاكي وتحجيم رغباتهم وخيالهم على أن يتجاوز تلك المحفزات.

4- فقدان الخصوصية:

في الأدب السائل ينتفي مفهوم الملكية الخاصة لصالح الآلة الاستهلاكية، وهو ما دفع المبدعين لاختيار خوض تجربة الأدب السائل الذي يوفر لهم قدرا من التواجد والاحساس بأنهم ليسوا مهملين وأنهم في تواصل مع المتلقين وإن كلفهم ذلك فقدان ملكيتهم الخاصة لنصوصهم لصالح الملكية المشتركة والتي تول في آخر المطاف إلى ملكية الآلة الاستهلاكية التي تفرض على المبدع والمتلقي على حد سواء التخلي عن خيالهم وأذواقهم الخاصة حتى يكونوا متواجدين ويحضون بالقبول في فضاء تحدد بدائله هي وتتحكم في خياراته الذوقية، ففي الحين الذي كان فيه الأفراد في الحداثة الصلبة يخشون تدخل الدولة بخياراتهم الاقتصادية صار هناك اتجاه مغاير بالحداثة السائلة أين أصبحوا يخشون أن يتركوا مواردهم الخاصة وما يعنيه ذلك من اللأمان والاستقرار.²³

5- اللابينية:

يقوم الأدب الرقي على تكريس الاحتمالية و اللابين الذي يميز عصر السيولة من خلال آليات فن الاقناع التي يعتمدها النص الأدبي الرقي من وسائط متعددة تعمل على تكثيف المعنى وفتح على التعددية والاحتمالات الممكنة كالصورة، اللون، الحركة... الخ، فلم تعد الكلمة والصورة اللفظية من كناية واستعارة هما آليته الوحيدة، لذا فخاصية التكيف والاقتضاب مهمان في عملية بنائه حتى يعبر عن عصر السيولة، فتندمج في الكتابة الجديدة الرقمية التي يعتمدها الأدب الرقي الوسائط التي يتيحها الاعلام المتعدد أين تمتزج النصوص المكتوبة مع الصوت والصورة والفيديو واللون... الخ،

انتاجه وتداوله وهو ما عبر عنه زيجمونت باومان كخاصية من خصائص عصر السيولة أين يبحث الأفراد على أقصر الطرق للحصول على اللذة دون التزام يفترض الديمومة في سوق مفتوح تباع فيه المشاعر كما تباع السلع المادية، ثم البحث عن أقصر وأقل الطرق تكلفة لفك الارتباط فبزر حذف تنتهي الروابط السائلة بين المبدع والمتلقي وبين كليهما والنص الإبداعي، عندما تصبح هذه الرابطة عبء أو لا تحقق اللذة الاستهلاكية المنشودة منه، فوفق الحداثة السائلة لا يوجد منتهى نصله لتحقيق التقدم والاكتفاء والرفاه للإنسان كما نظرت له الحداثة الصلبة.²⁰

2- الوقية:

نظرا للتغير المستمر في مجتمع السيولة يمكن نلاحظ أن الأدب السائل يتضمن تغيير في تصور الزمن الأدبي لتشكل النص الأدبي الذي أصبح سائلا يخلق ثقافة فورية أنية توجد نمطا من التوقعات قصيرة المدى لدى المبدع والمتلقي، أين يعبر الأدب السائل على خاصية الوقية لعصر السيولة بامتياز فقوامه السرعة والاختزال والاختصار ولا مجال فيه للنصوص الطويلة فعلى المبدع أن يختار الكلمات واللغة التي تحقق هذه الخصائص، فلا مجال لاستخدام كلمات تتكون من أكثر من خمسة حروف، كذلك الجمل عليها أن تكون مختصرة سريعة لا تزيد عن ثلاث إلى أربع كلمات على الأكثر، مثلما عير عن ذلك محمد سناجلة عند ذكره أن من بين لخصائص رواية الواقعية الرقمية أن لها لغة سريعة مباغتة فالزمان بت واحد والمكان نهاية تقترب من الصفر ولا تساويه ومختصرة وسريعة لا تزيد عن 4 كلمات على الأكثر للجمل والكلمة لا تتجاوز 5 وأحرف.²¹

وينسجم ذلك مع إدراك الوقت داخل البيئة السائلة الذي يختلف عنه في البيئة الصلبة؛ حيث أن الوقت في بيئة السيولة لا يرحب بالاستثمار طويل المدى في أي مشروع كان سواء ما يتعلق بالحياة العملية أو الحياة الاجتماعية أو حتى الأدبية أو غيرها من مناحي الحياة، لأنه ليس وقتا دوريا كما كان ينظر له بالحياة الصلبة ولا خطيا كما هو الحال في التقاليد الغربية القائمة على مفهوم التطور، بل هو وقت مجزأ ومشتم مليء بالتمزقات وغير مستمر وكل لحظة هي فريدة من نوعها ولا علاقة لها بما سبقها أو ما يلحقها وهو ما يمنع نجاح المشاريع طويلة الأمد.²²

3- السلعية:

محلية تربط بخياراته الجمالية وقدراته الإبداعية وإنما أصبحت معايير سائلة في سوق استهلاكية مفتوحة لحظية ووقتيّة تخضع لقوانين الرغبة الوقتية وليس لقانون الإبداع لأنها معايير تتداول في سوق الأعمال التجارية العالمية وهذا من شأنه أن يفقد الأدب غايته ورسالته ليصبح رقما من أرقام الآلة الاستهلاكية، عبارة نصوص افتراضية ظهر وتختفي بصورة وقتية دون غاية أو هدف حقيقي من إنتاجها إلا الاستمرار في دائرة الاستهلاك، شأنها شأن العلاقات الاجتماعية السائلة التي تظهر وتختفي حسب الرغبة دون أن يكون لها معنى حقيقي في حياة الأفراد، فالأعمال التي تنجح في هذا الفضاء السلي ليست التي لها قيمة فنية وفكرية وإنما هي تلك الأعمال التي تكون أسرع في مواكبة تغيرات الرغبات الفردية وإيجاد المزيد من الخيارات لإشباع حالة اللأمان والاستقرار بالحياة السائلة لدى المتلقي وإيهامه بأن له فضاء حقيقي يقدر على السيطرة عليه ويحدد فيه خياراته بكل حرية في حين أنه ليس ذلك بالفعل ما يحدث فهو لا ينتج بالفعل أي شيء لأنه مجرد رقم وخيار من آلاف الخيارات المتاحة لغيره من القراء الذين يتوهمون أيضا أن لهم القدرة على التحكم في إنتاج النص وفق منظورهم والحق أن السلطة لا تزال في يد المبدع فهو من يقرر كيف يكون نصه في النهاية لأنه لا يعطيهم إلا الحق في الاختيار ثم يسحب منهم الحق في التنفيذ وهو بدوره يخضع لذات الدائرة ففي حين يتوهم أن له السلطة النهائية على نصه فإنه في الحقيقة لا يمتلك إلا القدرة على الاختيار من بين البدائل ثم التنفيذ ليخضع في ذلك لمعايير السلطة الاستهلاكية السائلة بالفضاء الافتراضي فالأدب الرقمي يشبع عند المبدع الرغبة في أن يكون مهما ومحاطا بالمعجبين الافتراضيين ويخرجه من دائرة العزلة التي صارت تفرضها الحياة السائلة المعاصرة ليس فقط على الأدباء وإنما على المتلقين أيضا

كما أن الترابط بين عناصر العملية الإبداعية من مبدع ومتلقي وناقد لحظية وغير حقيقية تظهر وتختفي بصورة فجائية ولا توجد أي معنى بقدر ما تلغي المعنى الموجود في العمل الأدبي فالنص الأدبي لا يتحقق فعليا لأنه في حالة من التغير المستمر الذي لا يستقر على حال فيختفي بذلك وجوده لصالح العدمية المسلية بوهم الاختيار والاتصال الذي توجده لدى المبدع والمتلقي والناقد على حد السواء في حين أن المستفيد الوحيد هو الآلة الاستهلاكية التي تراكم رأس المال

ويتضح من ذلك أن الخيال الذي يقوم على النص الأدبي الرقمي هو خيال متعدد المصادر ينطلق من المعرفة بالوسائط المتعدد بتشكيل في صور مفتوحة على التأويل واللايقينية، يقوم في جزء كبير منه على الطابع الملموس المرئي والمسموع وقد سماه علي حرب بـ (الخيال الميدياني)، ويصفه بأنه خيال نشأ في الفضاء السيبراني والنشاط الافتراضي، معرفي بالدرجة الأولى، يبحث فيما يمكن إيجاده وخلقه بصورة متواصلة عبر الوسائط الرقمية²⁴

المحور الثاني: تجليات السيولة بالأدب السائل:

أولا: سيولة العلاقة بين عناصر العملية الإبداعية

من بين ركائز عملية الإبداع الرقمي الذي يستخدم تقنية Hypertext، أنه ولید بیئته التي تتبناه، لترسم ملامحه بتفاصيل تقوم على التخيل والتخييل، فقد ولد في واقع افتراضي ركيزته الأساسية التخيل ليظل افتراضيا مالم يحقق وجوده في الواقع، يتفاعل في النص الرقمي الأدبي خيال المبدع الخاص مع وعي المتلقي المشترك في إنتاج قضايا الخاصة اللفظية وقضايا التقنية، ترتبط بالوسائط المتعددة، ولا يكتمل تأثيره إلا من خلال وعي و خيال وإرادة المتلقي المشترك في العمل وإنتاجه، فالنص الرقمي يعتمد أساسا على التأويل، والخلق الفني فيه يعتمد على مدى احتمال العمل الفني على أكثر من تأويل وأكثر من قراءة، باعتباره معطى تخيلي بالأساس ويعبر عن ذلك أشرف الخريبي بالقول: "... إن النص الرقمي هو نص مخلق من عناصر عديدة يعمل على آليات مفترضة وربما يمزج إمكانيات جديدة ومختلفة، حالة منفتحة على كل التأويلات تحمل في طياتها المجهول الذي تذهب إليه النصوص"²⁵

ونتيجة لذلك يتضح للوهلة الأولى أن العلاقة بين عناصر العملية الإبداعية الرقمية الأدبية تتداخل وتتفاعل فلكل منها درجة من الأهمية، ليس هناك وجود لعنصر على حساب الآخر فالمبدع إن كان يموت فإنه لا يموت فعليا، إذ عندما يضيف القراء لنص قراءاتهم يتحول إلى قارئ هو أيضا لتلك القراءات، فيعيد تشكيل نصه بنظرة جديدة، ويضيف عليه لتستمر عملية الإبداع، والقارئ بدوره لا يبقى مجرد قارئ، إنما يتحول لمبدع ثم يرجع ليكون قارئاً، ثم يتحول مبدعا وهكذا دواليك.²⁶، ألا أن هذا التفاعل والتداخل يعبر عن جانب آخر على التفكير والتباعد بين هذه العناصر، وفي ظل هذا الوقت السائل لم تعد معايير اختيارات المبدع الرقمي وتفضيلاته

عند حافة المسنجر

هذا النوع من الحب الجديد الذي يعبر عنه الأدب الرقمي هو عند باومان هو كغيره من المشاعر بالحدثة السائلة سلعة لجلب اللذة الوقتية فصرنا مثلما يرى باومان نبحت عن أقصر الطرق للحصول على هذه اللذة دون التزام يفترض الديمومة في سوق مفتوح تباع فيه المشاعر كما تباع السلع المادية، ثم نبحت عن أقصر وأقل الطرق تكلفة لفك الارتباط فبزر حذف تنتهي روابط الحب السائلة عندما يصبح هذا الحب عبء أو لا يحقق اللذة الاستهلاكية المنشودة منه، وهذه النظرة جعلت الحب كنمط من أنماط التفاعل الإنساني يخضع لقوانين الآلة الاستهلاكية التي لا تكتفي ولا تنتهي إلى حد.

وبالتالي فالمرحلة الرقمية جعلت النظرة لثنائية المبدع والمتلقي تختلف وتأخذ طابع السيولة، ويبدو أن ذلك كحاجة ضرورية لأن تغير المجتمع والتحويلات الجذرية التي حصلت في العصر الرقمي ستؤثر بالضرورة على ذوق المتلقي وتحفز المبدع إلى السعي الدائب لتطوير ذاته ووسائله التعبيرية وتوظيف الوسائط التواصلية الجديدة، لتجنب الفجوة بين النص والمتلقي²⁷

ويرى سعيد يقطين أن انتاجية النص الأدبي تجاوزت الرقمي فكرة النظر للنص على أنه بنية مغلقة لأن أي نص يتضمن داخل بنيته مجموعة من النصوص الأخرى معاصرة وسابقة عليه، وبالتالي فبنية أي نص مفتوحة على غيره من النصوص. وهذا ما يكسبه سمة الانتاجية²⁸

غير أنه إذ نظرنا إلى الأدب التفاعلي الرقمي نجد سمة الانتاجية تختلف عنها في الأدب الورقي، فالإنتاجية في الأدب الورقي تتسم بالصلابة أين تخضع لقيم ومعايير محددة ولها هدف وغاية تحافظ على تماسك العمل الإبداعي، في حين الإنتاجية في جميع الأجناس الأدبية الرقمية تتسم بالسيولة، أين كما ذهبنا لذلك فاطمة البريكي يتجاوز هذا التداخل البنيات اللغوية إلى عناصر أخرى تقنية كأن يضمّن المبدع نصّه لقطات فيديو أو صورة معينة²⁹، كما يمكن تضمين مقاطع صوتية أو موسيقية وذلك التفاعل الموجود داخل النص الرقمي بين النصوص المكتوبة والمسموعة والمرئية في حالاتها الثابتة والمتحركة، وهو ما يجعل النص أكثر قابلية لإعادة التشكيل في صور جديدة تظهر في كل مرة بنص جديد مغاير للنص الأول لكنّه لا يوازيه إنما يتداخل معه، وتأتي

من بيع الاستقرار وحالة الاتصال الوهمية لأطراف العملية الإبداعية كما توجد في الحياة اليومية الاجتماعية الافتراضية، فالفرادانية التي فرضتها الحياة السائلة أوجدت نوعاً من العزلة التي تجعل الأفراد يشعرون بالإهمال والتخلي عنهم فيبحثون في الفضاء الافتراضي على بدائل وقتية تناسب حياتهم المتغيرة بسرعة وسواسية.

وبالتالي فقد ساهم دخول الأدب إلى وسائل تكنولوجيا لاتصال الحديثة التي هي آلية الثقافة السائلة في اذابة الثوابت واستثمار ذلك في تراكم رأس المال، أدى إلى انحلال الرابطة الصلبة بين عناصر العملية الأدبية الورقية بالفضاء الافتراضي وتحولها إلى الخيارات المفتوحة الاستهلاكية وهو ما يضعفها ويجعلها غير قادرة على تأدية وظيفتها الجمالية والفكرية والاجتماعية الحقيقية لأنه يستلزم منها القدرة على الاختيار والتنفيذ لخياراتها الإبداعية فهي لا تجعل القارئ والمبدع في حالة تواصل بقدر ما تجعلهم في حالة من التفكك والانفصال في عالم الخيارات المفتوحة المتغيرة والوقتية فلا يعود للأدب وظيفة وقائية تساعد في عدم تفكك الحياة الاجتماعية أكثر مما هي عليه وإنما يصبح وسيلة وأداة لتفكيك من خلال ما يوجده من ضغط على المبدع والمتلقي على حد سواء لمواكبة الموضة الاستهلاكية المتغيرة في انتقاء الآليات والمواضيع التي يشتغل عليها النص الأدبي فيفقد المبدع والمتلقي ذاتهم الحقيقية في عالم الموضة فينفصل كل منهما عن الآخر ليلحق بالآلة الاستهلاكية.

حتى أن الموضوعات التي عالجها هذا الأدب الجديد عبرت عن هذا التمزق بالوقت وتعبر عن تشظي وتشذير وتقطيع لجسد السارد المبدع وجسد النص كما أنها تعبر عن العشق السائل (السيلكوني) الذي تستبدل فيه المشاعر بالتيار الكهربائي فتكون متصلة باتصاله وتنقطع بانقطاعه أو ما يقول عنه باومان حياتي الآن لاين والأوف لاين، مثل ما عبرت عنه الإضمامة الشعرية لعبد النور إدريس تحت عنوان (تمزقات عشق رقمي) وهو العشق الذي يسميه (عبد حقي) عشق ما بعد حدائي ويعبر عنه باومان بالحب السائل، ويكون الإهداء في هذا النص كبنية نصية موازية يقول فيه

أليك

أنت

تتلقين العشق

السيلكوني والأيقونات

حالة من الاتصال مع المتلقي بصورة مباشرة دون أي وسيط أو التزامات وتكلفة كما أن المتلقي الرقمي يعفى من التزام بالخطية التي يتطلبها القراءة الخطية ويمكنه بيسر الانتقال بين محاور العمل الأدبي والخروج منه وقطع الاتصال في أي وقت يرغبه إذا لم يلي لديه رغباته الاستهلاكية.

هذا ما دفع كاندل إلى القول بأن أعماله لم تكن تلقى أي إقبال عندما كان ينشرها ورقيا وهو ما دفعه لخوض تجربة الكتابة الرقمية أين لقي إقبالا واسعا وتفاعلا كبيرا مع أعماله دفعه إلى عمل موقع ليعرف لهذا النوع الجديد من الكتابة الأدبية الرقمية³⁰.

أي أن الآلة الاستهلاكية جعلت الأفراد يعيشون على حالة القلق وعدم الرضى والخوف السائل في كل مجال خارج نطاق سيطرة النظم والروتين كالفضاء الإلكتروني وتلعب لعبة اللأمان والخوف السائل من خلال وضعها احتمالات تتعلق بالمستقبل الذي لا يمكن للشخص التحكم به وهو ما يجعله في حالة من التوتر والقلق يسعى إلى تهدئته بشراء بالاندماج في منتجات تروج لها هذه الآلة على أنها مصدر أمان للمبدع والقارئ في الوقت بصورة تجعل انقطاع الاتصال بالإنترنت تعني الانقطاع عن مصدر الأمان الوحيد الذي يجد فيه المبدع والمتلقي على حد السواء ذاته ويمكنه من خلاله أن لا يكون وحيدا في مجتمع السيولة الذي تنهار فيه الروابط والعلاقات نتيجة الرغبات، وما أن يستقر ويشعر أنه آمن نفسه تظهر هذه الآلة عيبا في ذلك المنتج وتقترح منتجا أفضل، ما يجعل المبدع والقارئ في سعي دائم إلى تغير نمط خياراته وتفضيلاته الجمالية والفكرية ليلحق بالحياة السائلة ويحقق السعادة الموعودة ثم لا يجد إلا السراب، لأن الإبداع الرقمي ابداع تحكمه الرغبة الوقتية دون أي التزام حقيقي مع الأدب أو مفهوم الإبداع.

ثانيا: السلطة بالنص الأدبي في عصر السيولة

ارتبط مفهوم السلطة في إنتاج النص الأدبي بمفهوم المرجعية وكلمة مرجعية من الرجوع، والمرجع الذي يرجع إليه الكاتب أثناء كتابته، وكلمتي (المرجع والمرجعية) هما الأكثر تداولاً في الكتابات النقدية، ولطالما كانت المرجعية مصدر اختلاف بين الفلاسفة والفقه والنقاد ومنظري الأدب، وذلك من خلال التركيز على وظيفة الأدب منذ أفلاطون وأرسطو إلى يومنا هذا، حيث اعتبرها أفلاطون وأرسطو مرجعية أخلاقية، كما كانت عند المسلمين ترجع إلى القيم التي نادى بها الإسلام،

عملية التداخل والتفاعل من هذا المنطق لتشكّل خطابا جديدا باستمرار. بصورة تفقد العملية الإبداعية الغاية منها لتلحقها بغاية الاستهلاكية وتراكم رأس المال الذي تجنيه الشركات المروجة لهذا النمط الثقافة الاستهلاكية

تصور الآلة الاستهلاكية الفضاء الافتراضي كفضاء آمن خال من المخاطر ومن أي التزامات تعيق سعادة الانسان وهو ما يدفع بالكثيرين في ظل المخاطر التي تحيط بهم إلى السعي لهذه البيئة التي لا يعكرها أي التزامات ومن ذلك تحول حاجاتهم ودوافعهم ومشاعرهم إلى مصدر للربح وتراكم رأس المال من خلال فتح الخيارات بصورة تخلق لديهم نوعا من الوهم بالحرية في حين تسيطر هي على توجيه تلك الخيارات والبدائل بما يخدمها ولا يحقق اشباعا لمرتابها من خلال الإبقاء على حالة التغير المستمرة وإيجاد البدائل باستمرار التي يركض وراءها المستهلكون دون غاية أو هدف ولعل ذلك ما يجعل الكثير من المبدعين يرحبوا بالأدب الرقمي لأنه يشبع لديهم الحاجة إلى الإحساس بالنجاح والاهتمام الوهمي من المتلقي الذي لا يعنيه مضمون النص الأدبي بقدر ما يعنيه الركض وراء الاستهلاك والتغيير والجوانب الشكلية للعملية الإبداعية.

وكذلك تعطي البيئة الافتراضية نوعا من الإيحاء بكونها بيئة صافية خالية من أي التزامات بالشروط الصلبة التي تضعها المؤسسات الصلبة التي تنظم العلاقة بين عناصر العملية الإبداعية من رقابة ودور نشر والتي يعتبرها المبدع عائقا يجعل أعماله لا تصل إلى المتلقي لغلاء التكاليف وكثرت الالتزامات التي تتطلب جهدا ووقتا من المبدع وتكلفه الكثير ليرى عمله النور ثم لا يجد له أي صدق بالواقع السائل الذي لم يعد يرحب بالمشارع طويلة المدى ولا بالأعمال المتطلبة للوقت الطويل والجهد، فما يتقبله الجمهور اليوم ويحبه من أعمال فنية ليست تلك التي تسمو بذائقة الفنية والجمالية والفكرية وإنما هي الأعمال التي تشبع رغباته في التغير والتحديث المستمرين بعيدا عن أي التزام بالقراءة المطولة والمتعمنة التي تتطلب التركيز ولا تواكب طبيعة الوقت الشذري بالحياة السائلة، لذا فإن المبدعين الذين يفضلون هذا النوع يرون فيه إعفاء لهم من أي التزامات أو مسؤوليات بيروقراطية يتطلبها النشر الورقي والذي قد يمنع أو يعطل خروج عملهم الفني للنور ويتطلب منهم تكاليف مادية وجهدا تعظيم منه البيئة الافتراضية بالإنترنت التي تتيح لهم التواجد المستمر في

تصورات ومفاهيم وقيم حتى الوقت تعمل على تغيير تصورنا له لتوجد من خلال ذلك ثقافة فورية آنية توجد نمطا من التوقعات قصيرة المدى التي تسعى لتحقيق الرغبات بصورة فورية، فإدراك الوقت بداخل البيئة السائلة التي تروج لها الحداثة السائلة يختلف عنه في البيئة الصلبة؛ حيث أن الوقت في بيئة السيولة لا يرحب بالاستثمار طويل المدى في أي مشروع كان سواء ما يتعلق بالحياة العملية أو الحياة الأسرية أو غيرها من مناحي الحياة، لأنه ليس وقت دوري كما كان ينظر له بالحياة الصلبة ولا خطيا كما هو الحال في التقاليد الغربية القائمة على مفهوم التطور، بل هو وقت مجزأ ومشتمل مليء بالمتنزقات وغير مستمر وكل لحظة هي فريدة من نوعها ولا علاقة لها بما سبقها أو ما يلحقها وهو ما يمنع نجاح المشاريع طويلة الأمد.

ولأن أهم ما يميز هذا مجتمع الثورة التقنية والرقمية هو السيولة واذابة كل الأبنية الصلبة بما فيها القيم والمعايير الاجتماعية التي تنظم مفهوم المرجعية كمفهوم صلب ثابت نسبيا بما يجعله قادرا على تكوين خيارات واضحة للفرد، جعل ذلك من الإنسان الرقمي به انسانا سائلا يعتمد في مرجعيته على التركيب والتحول المستمر، وساعده على ذلك التدفق المعلوماتي الهائل الذي يتجدد باستمرار لتكون المرجعية بالتالي مرجعية حركية تفاعلية فالطابع التحولي للأفكار واعتبارها أدوات واجراءات فقط يجعل من الصعب الامساك بمرجعية محددة في عصر السيولة، وهو ما عبر عنه الأدب السائل، إذ أنتج المجتمع السائل الذي انفصلت فيه سياسة اتخاذ القرار عن السلطة في تنفيذ القرار أدبا سائلا يحمل ذات الخصائص سواء في علاقة الأديب مع نصه الذي يمتلك ظاهريا السلطة عليه في حين أن في واقع الأمر لا يملك إلا سلطة اتخاذ القرار في حين تنفيذه يخرج من يده إلى المتلقي وإلى ما تحدده الآلة الاستهلاكية من أشكال جديدة للتعبير ومن موضوعات جديدة للأذواق المتلقين، كذلك المتلقي لا يمتلك السلطة إلا في حدود اتخاذ القرار عن الشكل الجديد الذي يريده للنص في حين تبقى السلطة في التنفيذ للمبدع مبدئيا وللآلة الاستهلاكية واقعا وأخيرا، فلا وجود بذلك لمفهوم الالتزام أو مرجعية واضحة محددة في الأدب الرقمي، لأنها في تحول مستمر نتيجة التفاعل بين المبدع والقراء وانفتاح النص انفتاحا كلياً على خيارات وبدائل الآلة الاستهلاكية المتغيرة، ويقول حسام الخطيب في وصف ذلك: "انفتاح

كذلك اختلفت دلالتها بين المناهج السياقية المختلفة، فهي المجتمع في نظرية الانعكاس والنفوس في المنهج النفسي، والتاريخ في المنهج التاريخي، وفي معظمها لم تهمل دور المؤلف ومرجعياته وأهميته في العملية الإبداعية إلى أن جاءت المناهج النصية لتزج مركزية المؤلف وتفصله عن نصه وبالتالي ابطال أي مرجعية خارجية متعلقة بالمؤلف مستبدلة إياها بمرجعية داخلية تركز على لغة النص دون البحث في أي فكر أو رسالة خارج المرجعية اللسانية، وهذا انتقلت سلطة المؤلف والقارئ على النص على حد سواء، وأي مرجعية تتعلق بهما، وحلت محلها سلطة النص كبناء لغوي، ثم جاءت بعدها نظريات القراءة لتعطي بعدا جديدا للمرجعية من خلال التركيز على القارئ واستبعاد سلطة المؤلف والنص، فبدأ يظهر بما يسمى باللامرجعية إين تعدد القراءات يؤدي إلى تعدد المرجعيات وانفتاح النص³¹

وقد ارتبط الأدب بمفهوم المرجعية فكل ابداع يرجع في الأساس إلى فكرة أو أيديولوجيا أو مرجعية أيا كان نوعها شكلية أو مرتبطة بفكر، وبإختلاف مفهوم الأدب بين المدارس النقدية المختلفة اختلف معها تحديد المرجعية الأساسية في الأدب، فكل حددها حسب توجهه³²، واليوم بدخول الأدب العصر الرقمي برزت اشكالية المرجعية في ثوب جديد وفي صورة سائلة، ترتبط بما تقدمه التقنية الرقمية من وسائل يمكن أن تتحكم في تحديدها كون المجتمع الرقمي هو مجتمع تداولي في تحول مستمر يجعل ذلك الامساك بمرجعية محددة أمرا عسيرا، لأن التواصل العالمي يجعل المرجعية في تغير مستمر بسرعة تغير المعلومة.³³

حيث ظهر هذا الشكل والنمط الجديد من المرجعية ليعبر عن نوع من السلطة السائلة التي فصلت بين من يقرر ومن ينفذ في إنتاج النص الأدبي، فمن يقرر ليس بالضرورة من يحدد شكل النص الأدبي المنتج فعليا من جديد اشكالية المرجعية، لتكون السلطة المشتركة في إنتاج النص هي في الواقع سلطة سائلة تتحكم فيها عناصر أخرى خارج عناصر العملية الإبداعية وهي الآلة الاستهلاكية

لأن هذه السلطة يحكمها منطق التغيير المستمر الذي تفرض الآلة الاستهلاكية التي تعمل للتغيير المستمر في الحداثة السائلة يمكن حسب باومان على امتلاك زمام السلطة في تسيير معطيات العالم بما فيها مشاهير وعلاقات الانسان لخدمة تراكم رأس المال من خلال اذابة كل ما هو صلب من

تقوم عليه من ثقافة استهلاكية اصطلاح زيجمونت باومان على تسميتها بالثقافة السائلة التي عيّرت عن عصر السيولة كتجلي للطبيعة السائلة التي أخذتها المفاهيم والتصورات الصلبة للحداثة بالبناء الاجتماعي للمجتمعات المعاصرة في مجرى الحياة اليومية، وباعتبار الأدب معبرا عن تحولات وقضايا عصره فقد أخذ صفة السيولة التي ميزت الحياة والروابط الاجتماعية بالمجتمع السائل ليظهر لنا ما اصطلاحنا على تسميته بالأدب السائل الذي صهرت الآلة الاستهلاكية بتكنولوجيا الاتصال الحديثة أي منطلقات قيمة ومعيارية صلبة للعملية الإبداعية به فصارت تحكمها قيم الموضوعة والسوق الاستهلاكية وفقدت الغاية من وجودها التي توجد نوعا من الرابطة الأخلاقية والالتزامات بين عناصرها لتلحق بتحولات وتغيرات السوق الاستهلاكية وتركز على كل ما يعزز قيمتها الاقتصادية النفعية من عناصر جمالية شكلية وتفقد أي غاية إنسانية حقيقية لوجودها، تخلق لدى المبدع والمتلقي نوعا من الحرية الزائفة من الالتزامات التي تحافظ على جودة العمل الأدبي خارج السوق الاستهلاكية وتغرقهم في المزيد من العبودية الإرادية لمعطياتها في الوقت الذي تقر بحرية الاختيار والفضاء المفتوح من البدائل فإنها تقصر هذا الاختيار على اتخاذ قرار باختيار بديل من البدائل التي تتيحها وهو ما يحد من خيال المبدع والمتلقي ويحصره في معطيات محددة مسبقا هم في الواقع مجبرون على الاختيار من بينها حتى يحققوا الإشباع الوهمية للمكانة والربح والحرية والخصوصية وفي هذا الأدب السائل ترجع سلطة تنفيذ الخيارات لدى المبدع أو المتلقي للآلة الاستهلاكية وإذا كان المؤلف قد مات في المناهج السياقية فإنه في الأدب السائل مات كل من النص الأدبي والمؤلف وكذا المتلقي تحت عجلة السوق الاستهلاكية وتراكم رأس المال.

قائمة المراجع:

• الكتب:

- إسماعيل زروخي وآخرون، التيارات الفلسفية الغربية الحديثة وأثرها على الفكر العربي، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دار مليلة، 2003.
- آلان تورين، نقد الحداثة: الحداثة المظفرة، تر: صيّاح الجيهيم، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، سورية، 1998.
- باومان زيجمونت. الثقافة السائلة. تر: أبو جبر حجاج، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018.
- حسام الخطيب، رمضان بسطاويسي محمد، آفاق الابداع ومرجعياته في عصر المعلوماتية، دار الفكر، ط1، د.ب، جمادى الآخرة، سبتمبر 2001

النص وضياح تخومه يضيف معضلة حادة في مجال المرجعية، ويبدو أن تكوينه المرن مضاد للمرجعية بالطبيعة".³⁴

أي أن سلطة حرية الأفراد بالمجتمع الاستهلاكي تقتصر على اختيار واحد من البدائل التي تطرحها الآلة الاستهلاكية من إمكانات الاستهلاك، فبالنسبة للمتلقى يتم إيهامه بأن له فضاء حقيقي يقدر على السيطرة عليه ويحدد فيه خياراته بكل حرية في حين أنه ليس ذلك بالفعل ما يحدث فهو لا ينتج بالفعل أي شيء لأنه مجرد رقم وخيار من آلاف الخيارات المتاحة لغيره من القراء الذين يتوهمون أيضا أن لهم القدرة على التحكم في إنتاج النص وفق منظورهم والحق أن السلطة لا تزال في يد المبدع فهو من يقرر كيف يكون نصه في النهاية لأنه لا يعطيهم إلا الحق في الاختيار ثم يسحب منهم الحق في التنفيذ وهو بدوره يخضع لذات الدائرة ففي حين يتوهم أن له السلطة النهائية على نصه فإنه في الحقيقة لا يمتلك إلا القدرة على الاختيار من بين البدائل ثم التنفيذ ليخضع في ذلك لمعايير السلطة الاستهلاكية السائلة بالفضاء الافتراضي فالأدب الرقمي يشبع عند المبدع الرغبة في إن يكون مهما ومحاطا بالمعجبين الافتراضيين ويخرجه من دائرة العزلة التي صارت تفرضها الحياة السائلة المعاصرة ليس فقط على الأدباء وإنما على المتلقين أيضا.

ويمكن القول أن سلطة المبدع وسلطة النص وسلطة القارئ تبدلت بعصر السيولة بسلطة الاستهلاك، كما بين (نيتشه) أن إرادة المعرفة هي إرادة قوة³⁵، وبالتالي في خضم التفاعل بين عناصر العملية الإبداعية خاصة بين المبدع والقارئ سيكون الأكثر امتلاكا للمعرفة ببدائل الآلة الاستهلاكية وطرائقها في توجيه ذائقة الإنسان السائل، فهو من سيكون الأقدر على فرض مرجعيته داخل النص وجعلها مرجعية مهيمنة على بقية المرجعيات من خلال توظيف معطياتها في توجيه إنتاج النص الأدبي.

خاتمة:

شهدت العملية الإبداعية تطورا ملحوظا بانتقال الأدب من المرحلة الورقية إلى المرحلة الرقمية، فلم يعد المبدع الورقي ذاته المبدع الورقي، كذلك القارئ الورقي غير القارئ الرقبي وهذا لا يمكن إن يتجاوز النص الأدبي ذاته فقد تغيرت خصائصه بانتقاله إلى الرقمية لما تتميز به عناصر العملية الإبداعية من ارتباط وثيق بتكنولوجيا الاتصال الحديثة وما

فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

كمال عبد الحميد زيتون، تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصال، عالم الكتب، د.ط، د.ب، 2004.

محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، د.ب، د.ت، متاح على الرابط: <http://www.arab-ewriters.com/booksFiles/5.pdf>

مي العبد الله سنّو، الاتصال في عصر العولمة: الدور والتحديات الجديدة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، د.ط، د.ب، 1999.

يوسف عز الدين، قديم لا يموت أو جديد لا يعيش: آراء نقدية صريحة في الحداثة والشعر والمجتمع، دار الإبداع الحديثة للنصر، د.ط، د.ب، 1996.

• المجلات:

أشرف الخريبي، النص الرقمي، مجلة الجودة، العدد 19، المملكة العربية السعودية: مؤسسة عبد الرحمان السديري، 2008. متاح على الرابط: <https://issuu.com/aljoubah/docs/joba-19/4>

زيجمونت باومان، الأزمة السائلة: العيش في زمن اللاتيقين، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017.

زيجمونت باومان، الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016.

زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016.

زيجمونت باومان، الخوف السائل، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017.

زيجمونت باومان، الشر السائل: العيش مع اللابديل، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018.

زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، ط1، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017.

سعید سقطين، من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الأبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

سعید يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008.

علي حرب، العلم ومأزقه: منطق الصدام ولغة التداول، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

الهوامش:

- ¹ يوسف عز الدين، قديم لا يموت أو جديد لا يعيش: آراء نقدية صريحة في الحداثة والشعر والمجتمع، دار الإبداع الحديثة للنصر، د.ط، د.ب، 1996، ص208
- ² علي حرب، العلم ومأزقه: منطق الصدام ولغة التداول، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص111.
- ³ آلان تورين، نقد الحداثة: الحداثة المظفرة، ترجمة صيّاخ الجهم، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، سوريت، 1998، ص240.
- ⁴ علي حرب، المرجع السابق، ص113.
- ⁵ مي العبد الله سنّو، الاتصال في عصر العولمة: الدور والتحديات الجديدة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، د.ط، د.ب، 1999، ص122
- ⁶ كمال عبد الحميد زيتون، تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصال، عالم الكتب، د.ط، د.ب، 2004، ص319
- ⁷ مي العبد الله سنّو، المرجع السابق، ص-ص16-113.
- ⁸ فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص73
- ⁹ حسام الخطيب، رمضان بسطاويسي محمد، آفاق الأبداع ومرجعياته في عصر المعلوماتية، دار الفكر، ط1، د.ب، جمادى الآخرة، سبتمبر 2001، ص-ص56-115
- ¹⁰ سعید يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص56.
- ¹¹ فاطمة البريكي، المرجع السابق، ص51، 52.
- ¹² حسام الخطيب، رمضان بسطاويسي محمد، المرجع السابق، ص56.
- ¹³ باومان زيجمونت. الثقافة السائلة. تر: أبو جبر حجاج ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018، ص34، 35
- ¹⁴ زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، ط1، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ص188-191
- ¹⁵ زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، ط1، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص19، 20.
- ¹⁶ زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، مرجع سابق، ص59-67.
- ¹⁷ زيجمونت باومان، الشر السائل: العيش مع اللابديل، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018، ص20، 21.

- ¹⁸ إسماعيل زروخي وآخرون، التيارات الفلسفية الغربية الحديثة وأثرها على الفكر العربي، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دار مليلة، 2003، ص109.
- ¹⁹ زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، المرجع السابق، ص135-137.
- ²⁰ زيجمونت باومان، الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ص90.
- ²¹ محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، د.ب، د.ت، ص-ص، 95-114 متاح على الرابط: <http://www.arab-ewriters.com/booksFiles/5.pdf>
- ²² زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة: العيش في زمن اللاتيقين، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص12، 13.
- ²³ زيجمونت باومان، الخوف السائل، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص15.
- ²⁴ علي حرب، مرجع سابق، ص108.
- ²⁵ أشرف الخريبي، النص الرقمي، مجلة الجودة، العدد19، المملكة العربية السعودية: مؤسسة عبد الرحمان السديري، 2008، ص104، متاح على الرابط: <https://issuu.com/aljoubah/docs/jobah-19/4>
- ²⁶ سعيد سقطين، من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الأبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص10-12.
- ²⁷ سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، مرجع سابق، ص194.
- ²⁸ المرجع نفسه، ص59.
- ²⁹ فاطمة البريكي، مرجع سابق، ص181، 182.
- ³⁰ المرجع نفسه، ص80، 81.
- ³¹ حسام الخطيب، رمضان بسطاويسي محمد، مرجع سابق، ص12-48.
- ³² المرجع نفسه، ص12، 13.
- ³³ علي حرب، مرجع سابق، ص155، 156.
- ³⁴ حسام الخطيب، رمضان بسطاويسي محمد، مرجع سابق، ص54-59.
- ³⁵ المرجع نفسه، ص74.